

نفحات القرآن

[252] اسرار خلق الرعد والبرق: تعتبر الآية الاولى من البحث بشكل صريح، أن "برق السماء أمن آيات الله" * * * وورد هذا المعنى في الآية الثانية من بحثنا بتعبير آخر تعريفاً بالذات الإلهية المقدسة عن طريق آثاره فيقول تعالى: (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا). الخوف من الصواعق والتفاؤل بنزول المطر، أو خوف المسافرين، وتفاؤل المقيمين في المدن والارياف. واللطف انه يقول بعد ذلك مباشرة: (وَيُنْذِرُ السَّحَابَ الثَّيَالُ). وقيل في بيان هذه الجملة (تتزامن مع العواصف القوية زوابع من الغيوم، فتغطي اعالي الجو القرب من الارض، فيصبح الجو مظلماً، وتتولد الكهرباء نتيجة تلاطم الرياح، وتهتز الارض والجو بسبب صوت الرعد المتتابع، واخيراً فان الغيوم المتراكمة في طبقات الجو السفلى سميكة ومحملة بكثير من قطرات المياه الكبيرة لذلك تكون ثقيلة للغاية على الرياح المحركة(1)). * * * ويشير في الآية الثالثة والاخيرة من بحثنا إلى ظاهرة "الرعد" فيقول: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ). وَيُذَيِّنُ هَذَا التَّعْبِيرَ أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ السَّمَاوِيَّةَ لَيْسَتْ مَسْأَلَةً عَادِيَةً، بَلْ تُنْبِئُ عَنْ عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ عَالِيَةٍ، لِأَنَّ (التَّسْبِيحَ) يَعْنِي التَّنْزِيهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَ (الْحَمْدَ) تَعْنِي شُكْرَهُ مُقَابِلَ الْكَمَالَاتِ، وَعَلَيْهِ فَانَّ صَوْتَ الرَّعْدِ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْاَوْصَافِ الْجَمَالِيَّةِ وَالْجَلَالِيَّةِ عَالِدًا وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ بِلِسَانِ الْحَالِ، كَمَا يَتَحَدَّثُ اخْتِرَاعٌ مُهِمٌّ عَنْ عِلْمٍ وَوَعْيٍ الْمُخْتَرَعِ، أَوْ لَوْحَةٌ جَمِيلَةٌ جَدًّا عَنْ الذَّوْقِ الْحَادِّ لِلرَّسَامِ، أَوْ قِطْعَةٌ شَعْرِيَّةٌ عَنِ الذَّوْقِ الْاَدْبِيِّ لِلشَّاعِرِ، فَتَمْدَحُهُ وَتُشْكِرُهُ، فَتَكُونُ لِسَانِ حَالٍ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ بَانَ لَدَى ذَرَاتِ هَذَا الْعَالَمِ كَافَةً عَقْلًا وَشَعُورًا، كُلٌّ حَسْبَ حَظِّهِ، وَتُسَبِّحُهَا وَتُحَمِّدُهَا يَنْبَغُ مِنَ الْعَقْلِ وَالشَّعُورِ وَالْاِدْرَاكِ. يَقُولُ الْفَخْرُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ: "فَلَا يَبْعُدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ وَالنُّطْقَ فِي أَجْزَاءِ السَّحَابِ فَيَكُونُ هَذَا الصَّوْتُ الْمَسْمُوعُ فَعْلًا لَهُ. فَإِذَا لَمْ يَبْعُدْ تَسْبِيحُ الْجِبَالِ فِي زَمَنِ دَاوُدَ ((عَلَيْهِ السَّلَامُ)) وَلَا تَسْبِيحُ الْحَصَى فِي زَمَانِ مُحَمَّدٍ ((صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ))" (1). فليكن أيُّ الاحتمالين، فليس هنالك اختلافٌ في بحثنا، وعلى كل حال انَّ هناك اسراراً خفيةً في هذه الظاهرة السماوية حيث تكشف عن عظمة الخالق وآية من آياته. والمعروف انَّ الماء والبخار، والغيوم موجوداتٌ لا تتوافق مع النار، ولكن بقدرة الخالق تنطلق منها نارٌ هائلة أكثر احراقاً من انواع النيران على الارض كافة، وكذلك البخار، الجسم اللطيف جداً، ولكن ينطلق منه صوتٌ لا ينطلق من سقوط * * * التوضيحات:

(1) مع انَّ مدة الصاعقة لا تتجاوز عُشر الثانية وقد

تكون 1 100 من الثانية، ولكن الحرارة التي تنتج تصل إلى 15000° سانتيفراد بامكانها التسبب في حدوث اخطار بالغة الشدّة (حرارة سطح الشمس 8000° فقط) (اعجاز القرآن ص 78).